

الفصل الأول

مقدمة

Introduction

متصل التوحد والحاجات التربوية الخاصة:

معايير تشخيصية: Diagnostic Criteria

اعتمدت عملية فهم وشرح التوحد في الماضي على قوائم من النقاط التي تستخدم في تشخيص هذا العرض (التوحد) والذي كان يطلق عليه في تلك الفترة «سيزوفرنيا الطفولة». ولقد نظر إلى هذه النقاط (النقاط التي تشير إلى جانب النمو غير العادي أو السلوك غير العادي) على أنها نقاط وصفية تصف الملامح الأساسية الظاهرة في التوحد.

لذا فإنه لا يوجد وصف واضح يحدد الملامح التي تستخدم في تشخيص التوحد، والسمات الأخرى التي تصاحب التوحد ولكنها معايير غير أساسية. وبعبارة عن الشكوك التي تحوم حول طبيعة هذه النقاط نفسها... فإن هذا يؤدي إلى موقف مربك وغير معقول عندما يوجد طفلين من أصحاب التوحد يتم تشخيصهما كأصحاب توحد ولا توجد سمة مشتركة بين هذين الشخصين.

مثلث الإعاقات The TRIAD Of Impairments

هناك صعوبات في تعريف التوحد كأعراض مترامنة بسبب العديد من مشكلات

النمو المصاحبة، ولقد افترض كانر Kanner أن كل أطفال التوحد يتمتعون بالذكاء، ولكن هناك مظاهر للتأخر الواضح في النمو جاء نتيجة لإصابتهم بالتوحد - ومن المؤسف أن نقول إنَّ هذه واحدة فقط من الحقائق المختلفة المرتبطة بالتوحد والتي أخطأ فيها كانر Kanner فالأفراد أصحاب التوحد يشبهون "Rainman" في الفيلم المشهور- فعملية التأخر في النمو عملية نادرة جداً لدى أطفال التوحد ويرجع التأخر في النمو لدى نسبة كبيرة من أطفال التوحد إلى صعوبات تعلم إضافية أغلبها شديدة وفي الحقيقة كلما كانت صعوبات التعلم شديدة كلما كانت الإصابة بالتوحد أشد... بالإضافة إلى ذلك فإنه من الصعب عزل أو فصل التأثيرات الناجمة من التوحد عن التأثيرات الناجمة من صعوبات التعلم الحادة.

ولقد وجد (Lorna wing & Judy Gould) بعد دراسة عينات من الطلاب أصحاب التوحد أن هناك تجمعات من الخصائص يمكن أن تزودنا بمعايير لتشخيص التوحد، وهذه الخصائص عرفت باسم الإعاقات الثلاثية للتوحد والتي حددها Wing في:

١- الإعاقات الاجتماعية

وتتلخص في التأخر الشديد في النمو الاجتماعي وخاصة في نمو العلاقات الشخصية وهذه الإعاقات حددت في متصل يتراوح من أولئك الذين يمثلون المفهوم التقليدي في التوحد في عزلتهم وتوحدهم وانسحابهم إلى أصحاب التوحد الذين يستجيبون بطريقة سلبية عند الاحتكاك بالآخرين ولا يستطيعون التفاعل مع الغير إلى (أصحاب التوحد ذوي النشاط السلبي) أو الذين يبحثون عن اهتمام الآخرين بهم ولكنهم لا يستطيعون التعامل مع الآخرين.. فطفل التوحد عادة ما يبدأ من أحد أطراف هذا المتصل بالانسحاب التقليدي ويصل إلى مرحلة النشاط السلبي مع استمرار نموه أثناء التعامل معه في سن العاشرة.

٢- الاتصال واللغة Language and Communication

يوجد لدى أصحاب التوحد نقصاً واضحاً في اللغة والاتصال اللفظي وغير اللفظي.

ويتسع مدى مشكلات اللغة المنطوقة لدى الأطفال أصحاب التوحد اتساعاً كبيراً... فهناك فئة تعاني من مشكلات لغوية/ تعليمية حادة الأمر الذي يترتب عليه عدم استخدام أصحاب هذه الفئة من أطفال التوحد للغة المنطوقة وعدم نمو اللغة المنطوقة لدى هذه الفئة من الأطفال وفي جانب آخر توجد فئة أخرى من الأطفال أصحاب التوحد تنمو لديها المهارات اللغوية، وتمكنهم مهارات النطق والقواعد من تعلم اللغة الأجنبية.

وبغض النظر عن مستوى كفاءة طفل التوحد في اللغة المنطوقة توجد عدة مشكلات في كل جوانب الاتصال لدى أصحاب التوحد فهناك مشكلات ترتبط بفهم واستخدام تعبيرات الوجه والايحاءات التعبيرية، ولغة الجسم، وموضع الجسم، ومشكلات أخرى ترتبط بفهم الحالات المختلفة لاستخدام اللغة. هذا بالإضافة إلى مشكلات ترتبط بالمعنى (الجوانب الخاصة بدلالات الألفاظ) والجوانب العملية للمعنى.

وترتبط الجوانب العملية للمعنى بالفهم الاجتماعي للغة ونظراً لأن الجوانب العملية للمعنى تمثل عملية اتصال أكثر من كونها عملية لغوية لذا فهي تؤثر في التوحد.

٣- التفكير والسلوك Thought and Behavior

صاحب التوحد صلب في التفكير والسلوك ويفتقر إلى الخيال يتميز بالسلوك المكرر الذي يعتمد على أنماط مكررة من السلوك كما يتسم بنقص شديد في الابتكار، ويفتقد إلى اللعب الابتكاري، ويلعب بطريقة عفوية تلقائية. ولكن عندما يدرّب طفل التوحد على اللعب يصبح محدداً بأنماط اللعب التي شاهدها أثناء التدريب فقط ولا يستطيع الابتكار في اللعبة ولو بدرجة قليلة.

ويستطيع طفل التوحد الأكثر قدرة أن يظهر نوعاً من التخيل ولكنه خيال محدود ولا يستطيع أن يميز بين الخيال والواقع ويتمثل ذلك في عدم قدرته على التمييز بين الصورة العقلية الناجمة من التخيل والشيء الحسي الحقيقي.

ولتشخيص التوحد يجب ربط التشخيص ببداية أو مستهل الثلاثين شهراً الأولى

من عمر الطفل على الرغم من أن Lorna Wing ترى أن هناك حالات توحد لها بداية متأخرة.

هذا ولقد استخدم مثلث الاعاقة الذى يمثل قاعدة لمعيار التشخيص من قبل منظمة الصحة العالمية (ICD-10) ورابطة الطب النفسى الأمريكية (DSM - IV).

أسباب الأوتيزم The Causes of Autism

لا يوجد مجال هنا لكى نعرض نتائج الأبحاث التى تعرضت فى الوقت الحالى لأسباب الأوتيزم، ولكنه من المهم عندما نناقش الأسباب، أن نوضح أنه لا يوجد سبب محدد وهذا لا يعنى أنه لا يوجد شرط فعلى يمكن أن نتعامل معه. فالتوحد يعنى أكثر من أنه لافته أو عنوان يرتبط بمدى متسع من الأعراض... بل يعنى أيضا تشخيصاً يساعد فى عمل معنى عن الملامح المحددة للتوحد ويشرح لماذا تحدث هذه الملامح متزامنة وترتبط أعراض التوحد بخصائص الأفراد وتنحرف عن النمو الطبيعى وتعتبر عن سبب شائع.

ففى المستوى البيولوجى وخاصة تلك الظروف المرتبطة بالشلل المخى هناك العديد من الأسباب التى تؤدى إلى هذا الخلل الوظيفى فى المخ فنحن نعرف أن العوامل المرتبطة بالجينات تلعب دوراً هاماً فى هذا الأمر ولكنها لا تملك الإجابة الكاملة أو المسئولية الكاملة. وهناك أبحاث أشارت إلى أن التفاعلات الكيميائية المخية الشاذة تؤدى إلى فشل فطرى فى إنتاج الأنزيمات. كما أن وجود علل أو أمراض معينة فى الأم تؤدى إلى إحداث تلف أثناء نمو الجنين أو أثناء الولادة.

هذا وهناك دليل يرى أن كل هذه الأسباب تملك تأثيراً مشتركاً على المستوى النفسى والسيكولوجى تؤدى إلى العجز النفسى ويؤدى هذا بدوره إلى مدى متسع من الأعراض السلوكية التى ترتبط بالعمليات النفسية التى تتسم بالتلف والعجز.

ونستطيع أن نرى كيف يحدث هذا إذا أخذنا فى اعتبارنا وجهة نظر Uta Frith عن التوحد وإذا قمنا بفحص أنماط السلوك التى نتوقعها والتى تنجم من العجز فى فهم المعنى أو العجز فى تكوين نظرية للمخ.

ويؤدى الفشل فى فهم الكيفية التى يفكر بها الآخرون إلى:

- * صعوبة فى توقع السلوك، وربما يجعلنا نكره الناس.
- * نقص فى العاطفة، أو تعبيرات عاطفية فقيرة.
- * عدم فهم ما الذى يتوقعه الآخرون عن الأسباب التى تجعل اللغة مبهمه.
- * عدم وجود فكرة عن تأثير تفكير الآخرين وشعورهم، وعدم وجود دافعية للرضى. وعدم وضوح الغرض من الاتصال، ونقص فى التفاعلات التلقائية.
- * عدم مشاركة الآخرين فى الانتباه.
- * نقص فى فهم التقاليد الاجتماعية بما فى ذلك استراتيجيات الحديث، وهذا يؤدى بدوره إلى عدم القدرة على استخدام إشارات العين، وإلى تفاعلات قليلة وفقر فى القدرة على الاحتفاظ بالموضوع.
- هذه الصعوبات سوف يتم توضيحها فى نهاية هذا الكتاب. والتشخيص فى المستوى السيكولوجى يقدم لنا قنطرة تربط بين الأسباب البيولوجية التى بدأنا فى تفسيرها وبين السلوك الفعلى الذى نبني تشخيصنا عليه.
- وبدون مثل هذا التشخيص فإننا نترك بعض الأعراض دون تشخيص منطقى وعندما نفكر فى معالجة مثل هذه الأعراض أو اختزالها فإننا سوف نتخبط.

متصل الحاجة The Continuum of Need

ينطبق مثلث الاعاقات الذى يميز أصحاب التوحد أيضاً على الأطفال أصحاب عرض اسبرجر (أطفال ذوى قدرة أعلى من الأطفال أصحاب التوحد)، وكما ينطبق أيضاً على الأطفال ذوى صعوبات التعلم المتعددة بالإضافة للتوحد. وتختلف مظاهر كل إعاقة من هذه الاعاقات الثلاث فى الفئات الثلاث (أصحاب التوحد - أطفال عرض اسبرجر - أطفال صعوبات تعلم وتوحد) طبقاً لمستوى الذكاء العام وطبقاً لظهور أى مشكلات أخرى إضافية.

(مثال ذلك): الأطفال أصحاب عرض اسبرجر لا يعانون من إعاقة عقلية إضافية

رغم أن سماتهم الناجمة من التوحد تؤدي إلى ظهور صعوبات تعلم... ففي المجال الاجتماعي يتلاءم أطفال عرض اسبرجر مع المتصل الاجتماعي الذي يبدأ من الانسحاب إلى النشاط الشاذ رغم أن فئة كبيرة من أطفال هذه الفئة تستطيع امتلاك زمام المبادرة في الحديث وتستطيع الاتصال اجتماعيا، ولكن نقص الفهم والمهارات لا يمكنهم من الاتصال الاجتماعي الفعال. أما فئة الأطفال الذين يعانون من صعوبات متعددة حادة بالإضافة للتوحد فتقع هذه الفئة في أقصى نقطة في المتصل الاجتماعي حيث ينسحب أطفال تلك الفئة إلى عالم الإثارة الذاتية ويحاولون بمساعدة الآخرين اقتحام هذا العالم وهذه الفئة تتسم بالعدوان.

ومن المحتمل أيضا أن نجد الأطفال ذوي الصعوبات التقليدية العميقة والتوحد يطلبون الآخرين ويتعاملون معهم بطرق بدائية بسيطة من خلال الشم أو العض أو الضرب.

وفي مجال اللغة ومهارات الاتصال يختلف الأطفال أصحاب عرض اسبرجر عن الأطفال أصحاب التوحد حيث يحصل أصحاب عرض اسبرجر على درجة عالية في السلوك اللفظي ومهارات اللغة التركيبية وهذه تمثل نقطة قوة لدى أصحاب عرض اسبرجر. مثال ذلك طفل عمره سبع سنوات من أصحاب عرض اسبرجر استطاع أن يعلم نفسه وأن ينطق ويتحدث أربع لغات أجنبية باستخدام الكتب والشرائط. كما أن هذا الطفل استطاع أن يفهم ما يتعلمه (مثال ذلك: أنه لم يردد فقط اللغة اللفظية والتدريبات بطريقة لفظية في النص الذي يتعلمه بل استطاع أيضا أن يتقن بوضوح كل لغة ليس فقط كسلسلة من العبارات يكررها. ومع ذلك ظل الاتصال المشكلة الأساسية مع كل الأفراد الأكثر قدرة في التوحد. وعلى سبيل المثال هذا الطفل الصغير قرر فجأة أن ينتقل إلى لغة أخرى وظهر أو اتضح أنه لا توجد عناية من الآخرين المحيطين به وأنهم لن يستطيعوا فهمه.

أما الأطفال أصحاب مشكلات التعلم العميقة والتوحد فنظهر عليهم علامات الصمت أو الصوت المنخفض ولا يستطيعون اكتساب لغة الإشارة أو العلامة في الاتصال. إلا أن أطفال هذه الفئة لديهم قدرة على الاتصال القليل، وتعلم الاستجابات لمقابلة احتياجاتهم الأساسية حيث يقوم المعلم أو من يقوم برعاية هذا

الطفل بوضع كل مجهوداته لتنمية قدرة الطفل على تبادل الرسائل والمعاني في موقف الاتصال. فالطفل الذي يعاني من التوحد وصعوبات التعليم قد يصرخ كاستجابة لحاجاته الشخصية (الجوع - الاحباط - الألم) ولكن دون أن يدرك تأثير هذا على المحيطين به. ويستجيب الأفراد لصراخ الطفل كما لو كان هذا يعني أن الطفل يرغب في شيء بعيد عن متناول يده وهذا يظهر لنا أن للصرخة غرض اتصالي.

وفي مجال التفكير يتسم الأطفال أصحاب عرض اسبرجر بالتصلب وعدم المرونة في التفكير والسلوك وهذا يظهر في طرق متعددة ومعقدة. كما أن الأطفال أصحاب عرض اسبرجر لديهم اهتمامات متضاربة ومشتتة تظهر في أوقات الضغط والشدة وكلما كانت هناك صعوبات تعلم اضافية لدى أطفال هذه الفئة كلما حدثت الأنشطة المشيرة للذت تزداد في حالة وجود صعوبات حسية. وهذا هو الفرق بين أطفال عرض اسبرجر وأطفال التوحد التقليدي.

وتكمن الاختلافات الأخرى الموجودة بين أطفال عرض اسبرجر وأطفال التوحد التقليدي في النمو الحركي فطفل عرض اسبرجر يظهر نقصاً في التناسق الحسي حركي، ولديه نقص وتأخر واضح في نمو المهارات الحركية. هذا ينطبق على كل المهارات الحركية الخشنة والناعمة لذا يطلق على طفل عرض اسبرجر بأنه لخممة Clumsy «غير متقن للأعمال». هذه الخصائص يمكن الاستفادة منها في اختيار مداخل التدريس المناسبة التي سيتم مناقشتها في الفصول الأخيرة من هذا الكتاب.

التشخيص والحاجات التربوية الخاصة

Diagnosis and Special Educational Needs

يميل الاتجاه الحديث في التربية الآن إلى التقليل من أهمية دور التشخيص في تحديد الحاجات التربوية الخاصة للفرد وإلى الاتجاه نحو استخدام تفاعلات التلميذ المختلفة مع البيئة كطريقة لتحديد حاجات التلميذ الخاصة.. والاتجاه الآن لا يكتفى بالتركيز على العوامل الداخلية في الطفل بل يركز على استخدام كل من العوامل الداخلية للطفل والعوامل الخارجية الممثلة في البيئة على قدم المساواة.. ومن خلال

هذا سوف تؤكد على أن عملية فهم المشكلات الأساسية التي يواجهها التلميذ في المستوى النفسى تمثل عاملاً هاماً فى تطوير المناهج وطرق التدريس اللازمة لإشباع ومواجهة هذه الحاجات.

أما استخدام المشكلات السلوكية فقط فى تطوير المناهج فقد يؤدي إلى أنماط مختلفة من سوء الفهم لسلوك التلميذ وبالتالي الفشل فى تحديد الحاجات التربوية الحقيقية.

ونظراً لأن التربية نشاط اجتماعى. لذا فإن المعلم أن لم يع ويفهم المشكلات الناجمة من التوحد، فإن سلوك طفل التوحد قد يفسر تفسيراً خاطئاً على أنه سلوك وقح ينم على الكسل. وفى الواقع يصنف طفل التوحد على أنه طفل توجد لديه مشكلات سلوكية وعاطفية (إذا لم تكن هناك مشكلات تربوية عامة). كما يصنف على أنه طفل لا يستطيع أن يركز انتباهه فى النشاط لفترة زمنية طويلة أو لديه نشاط زائد ويعانى من صعوبات تعلم حادة.

وهكذا يمكن القول أن الهدف الواضح ليس هو تصنيف الطفل لأن التصنيف يؤدي إلى توقعات منخفضة ولا يساهم فى وصف الطفل على أنه طفل حر كما يمكن القول أن تفسير السلوك يمثل جزءاً من اهتمامنا الإنسانى لعمل معنى للسلوك ولعمل نظام يؤدي إلى موقف يكون فيه الطفل له العديد من المسميات يستخدم كل منها فى شرح جانب معين من السلوك.

مقترحات لفهم التوحد

Propositions Underlying Our Understanding Of Autism

سوف نذكر فى هذا الجزء بعض المقترحات التى توضح فهمنا للتوحد. وتنبع هذه المقترحات من الإطار النظرى الذى وصف فى مقدمة هذا الكتاب. وسوف نحاول صياغة إطار عمل نظرى (مفاهيمى) يستخدم فى شرح التوحد من خلال طريقة متقدمة تركز على مصطلحات التربية والرعاية لأصحاب التوحد. وهنا نقترح نقطتين أساسيتين فى التفكير التوحدي.

أولاً: الطريقة التي يتم بها صياغة الرموز وتخزينها في الذاكرة واسترجاعها وقت الضرورة.

ثانياً: دور العاطفة في العملية السابقة (إضافة الرموز وتخزينها واسترجاعها).

الذاكرة Memory

أحد المتناقضات التي تميز الأفراد أصحاب التوحد هي الذاكرة الجيدة بل في بعض الحالات ذاكرة هائلة إلا أنها تتسم بالنقص أو العجز في القدرة على استدعاء الأحداث الشخصية. فالأفراد أصحاب التوحد يستطيعون تذكر كل أنواع الحقائق المرتبطة بالمدينة التي يعيشون فيها: تاريخ هذه المدينة - والتواريخ الهامة - سكان هذه المدينة - وسائل النقل، والطرق وهكذا. إلا أنهم لا يستطيعون تذكر أنه كان هو نفسه (صاحب التوحد) يمشى في شوارع هذه المدينة في الصباح الباكر (حدث شخصي). وترجع هذه الأنماط من مشكلات الذاكرة إلى مشكلات في ذاكرة الأحداث العارضة Episodic Recall (تذكر الأحداث) ولكننا نرى أن المشكلة لا تكمن فقط في ذاكرة الأحداث العارضة بل ترجع أيضاً إلى «الأحداث الشخصية العارضة» Personal Episodic التي تمثل جزءاً من الذاكرة الذاتية أو ذاكرة السيرة الذاتية Autobiographical Memory.

وهكذا يمكن القول أن المشكلة تتلخص في أن صاحب التوحد قادر على استدعاء الحقائق المرتبطة بالمدن (لأن هذا يمثل جزءاً من الذاكرة العامة لدلالات الألفاظ (General Semantic Memory) وتذكر المعرفة التصنيفية/ والمعرفة العامة (مثل المعرفة عن المدن بوجه عام) والمعرفة الإجرائية عن المهارات (مثل معرفة كيف نجوب المدينة باستخدام الأوتوبيس).

إلا أنه توجد صعوبة قليلة في تذكر المشاهد التي تتضمن العنصر الشخصي ولديه مشكلة في الوصول إلى المعلومات ذات الصلة.

وهكذا يمكن القول أنه إذا شاهد طفل التوحد حادثة سيارة عندما يتجول في شوارع المدينة وظهر عليه أنه كان مهتم جداً ومثار جداً بهذه الحادثة إلا أنه تظهر على طفل التوحد علامات الحيرة عندما نوجه له السؤال التالي «ماذا شاهدت عندما كنت

بالخارج؟ هل شاهدت الهدوء والحالة الرقيقة للأشجار وضاحية المدينة؟ فى هذه الحالة التلميذ لا يستطيع الإجابة ولكن إثارة التلميذ للوصول إلى الإجابة عن طريق الإثارة اللفظية للاستجابة باستخدام اسئلة موجهة مثل «هل شاهدت الحادثة اليوم؟» جملة لإثارة المتعلم لمشهد الحادث الأصلي الذى مر به.

وهكذا يمكن القول أنه يجب اتباع إحدى الطريقتين التاليتين لمساعدة الطفل التوحدى على تذكر واسترجاع الأحداث العارضة المؤقتة **الطريقة الأولى**: أن تستخدم التلميحات والعوامل التى تشير الذاكرة وهذه التلميحات أو العوامل تكون غير ملاحظة فى الغالب الأعم وترتبط بالأحداث الفعلية الحقيقية فى نفس الوقت. ومن ثم تقوم الذاكرة باسترجاع الحدث بدون أى مجهود.. وعملية التذكر بالنسبة لطفل التوحد عملية مؤلمة لذا يفضل مساعدة طفل التوحد وإثارته للتذكر من خلال استخدام نغمة معينة أو شم رائحة معينة (النغم، والرائحة وسائل هامة لإثارة ذاكرة الأحداث العارضة). وكثير من الأفراد أصحاب التوحد ينسى ذكرياته السابقة، ويردد ما سمعه فى الماضى من الآخرين بطريقة غير مفهومة ويخاف من هذا النمط من الذاكرة الذى يحدث نتيجة لإثارة ذاكرة الأحداث العرضية.

الطريقة الثانية: تستدعى الأحداث العارضة تحت تحكم كبير يتضمن حواس الفرد نفسه، فالفرد هنا لا بد وأن يفكر فى الأحداث السابقة ويضع نفسه فى موقف الخبرة الذى يسمح له بتذكر الكيفية التى يشعر بها تجاه تلك الأحداث ويكون فى وضع يسمح له بتذكر مضمون هذه الأحداث فى نفس الوقت. فالطفل العادى الذى نسأله عن ماذا حدث أثناء سيره فى الطريق - يستطيع أن يفكر فى الأحداث الماضية ويفكر بالتحديد فى الإثارة التى أحس بها وشعر بها أثناء مشاهدته لتحطم السيارات وهذه المشاعر تمثل مشيراً يعمل على إثارة الذاكرة. أما طفل التوحد فمن الصعب أن يتذكر نفسه يقوم بأعمال معينة أو يمارس أحداثاً معينة بدون إثارة تستخدم لهذا الغرض. فنحن نعتقد أنه توجد صعوبة لدى أصحاب التوحد فى تذكر الأحداث التى تحدث له شخصياً ولقد وصفت Temple Grandin هذا بأنه مثل الذى يشاهد شريط فيديو عن الحياة (مواقف الآخرين) أكثر من الشعور أو الاحساس بجزء من

الحياة (الموقف الشخصي) في نفس الوقت. وهذا ما يعطى خبرة التوحد نمط الاختلاف النوعى عن خبرة الفرد العادى.

وهذا يعطى معنى لأولئك الذين يعملون مع أصحاب التوحد وهو أن أصحاب التوحد يعرفون شيئاً ما ولكن لا يدركون الطريقة التى يعبرون بها عن هذا الشيء. وذكريات أفراد التوحد موجودة وحاضرة إلا أن أصحاب التوحد غير قادرين على ربط تلك الذكريات الحاضرة فى الذاكرة بذات صاحب التوحد الأمر الذى يسمح لهم بالبحث عن تلك الذكريات بطريقة تلقائية فعندما نسأل عن عطلة نهاية الاسبوع مثلاً: فى مثل هذا الموقف يستخدم أطفال التوحد استراتيجية مثل تلك الاستراتيجية التى نستخدمها نحن العاديين جميعاً من وقت إلى آخر عندما لا نجبر على البحث فى ذكرياتنا (Semantic Memory) التى تحتاج لمثير ولكى يعطى إجابة ترتبط بما يفعله عادة فى نهاية الاسبوع، يجب أن يستخدم ذاكرة دلالة الالفاظ التى ترتبط بذاته وإستلاك طفل التوحد لهذا النمط من المعرفة عن ذاته يتأسس كنوع من الحقائق والمعرفة عن الذات من خارج الذات. وتمثل الصعوبة التى تواجه أطفال التوحد فى الخبرة الذاتية فى عدم قدرتهم على البحث فى الذاكرة بطريقة تلقائية حيث يحتاج فرد التوحد إلى استخدام مشيرات تحته لتذكر الأحداث العارضة الشخصية وبدون استخدام المثيرات اللفظية أو غيرها لا يستطيع طفل التوحد الإجابة عن سؤال ماذا تفعل فى نهاية الاسبوع؟

(فى أخبار صباح الاثنين، على سبيل المثال): كانت الاجابة عن السؤال السابق كالتالى لقد زرنا المقهى وقمنا بالسياحة (هذا هو النظام العادى المتبع فى نهاية كل اسبوع) ولكن طفل التوحد يفشل فى ذكر الأحداث الدرامية التى جعلت النظام غير محبب والتى أدت إلى المزيد من التوتر والضغط فى ذلك الوقت.

وفى ضوء المعنى الذى يدور حوله المثال السابق نحتاج إلى توسيع عملية وصف متناقضات الذاكرة فى التوحد التى لاحظناها سابقاً فالأفراد أصحاب التوحد لديهم ذاكرة جيدة والملامح الأساسية لتلك الذكريات تحتاج إلى مشيرات حتى يمكن استدعائها. أى أن أصحاب التوحد لا يمكنهم استرجاع المعلومات بطريقة جيدة

وخاصة المعلومات التي ترتبط بالجانب الشخصي إلا باستخدام إثارة لفظية أو بصرية للذاكرة. ويجب علينا أن نأخذ في الاعتبار سبب عدم قدرة أصحاب التوحد على تذكر الأحداث الشخصية. وتعتمد عملية نمو الذاكرة الخاصة بتذكر الأحداث الشخصية وتحويلها إلى إطار يعمل بفعاليه على وجود الذات الممارسة للخبرة والتي تستطيع أن تقوم بدور هام في صياغة رموز الأحداث كجزء من البعد الشخصي للفرد. وهذا يتطلب بعض الآليات التي تمكن الفرد من صياغة الأشياء التي تحدث له في العالم بطريقة تساعده على تذكر تلك الأحداث بسهولة. كما لاحظنا من قبل يمكن تلخيص مفهوم توظيف الذاكرة بطريقة فعالة في تنمية دور الفرد في البحث عن الذكريات وفقاً للأشياء التي يحتاج إليها.

خلاصة القول: الصعوبة التي تواجه أصحاب التوحد في تذكر الأحداث الشخصية تكمن في معالجة المعلومات، وهنا يجب أن نؤكد على أن أفراد التوحد لا يدركون مشاعرهم وذاتهم. إلا أنه يوجد ميل نحو المشاعر القوية لدى أصحاب التوحد كما أنهم يعرفون الكثير عن ذاتهم كأفراد.

لا يدركون ذاتهم من خلال الصور الفوتوغرافية فقط لا تظهر عليهم السعادة أثناء عمل هذا (إلا أن هذا يختلف من فرد إلى آخر). وما يمكن أن يقال هنا هو أن هؤلاء الأفراد أصحاب (التوحد) تواجههم صعوبة في صياغة الرموز التي تعرض لهم - في أى موقف من المواقف الشخصية - بطريقة تمكنهم من استخدامها في المواقف المستقبلية. باختصار أصحاب التوحد يشعرون بالأشياء مثل الانفعالات ولكنهم تواجههم صعوبة في استخدام هذه المشاعر أو التعبير عنها أو نقل هذه المشاعر للغير وصعوبة في معالجة الذاكرة الخاصة بهم بطريقة أكثر فعالية.

دور العاطفة في التوحد The Role of Emotion in Autism

سوف نلفت النظر هنا إلى واحد من المتناقضات الأخرى في التوحد وهو أن الأفراد أصحاب التوحد يستجيبون في طرق تتسم بالانفعال العالى والشديد إلا أنهم غير قادرين على تحديد أو وصف حالتهم الانفعالية أو الحالة الانفعالية للآخرين.

ولكى نلقى الضوء على هذا التناقض يجب الإشارة إلى التقدير التقويى كجزء من عملية التفكير فعندما يقوم الفرد بالتقويم الشخصى لمعنى أو معرفة معينة يستخدم هذا النمط من التقدير التقويى كما يستخدمه أيضا فى حالة جمع الأحداث والوقائع المختلفة التى تحدث فى العالم ودمجها مع الاهتمامات الشخصية للفرد بطريقة تهدف إلى اظهار المقصد أو المعنى.

وفى الحياة اليومية تتذكر الأشياء فى ضوء الكيفية التى تنفعل بها تجاه تلك الأحداث أو الحقائق. فنحن نتذكر الأحداث ذات الشحنة الانفعالية العالية أفضل من الأحداث ذات الشحنة الانفعالية المنخفضة.. وهكذا يمكن القول أن الطريقة التى نستجيب بها للأحداث الانفعالية تلعب دوراً هاماً فى كيفية تذكرنا لتلك الأحداث وكيفية استدعائها.

مثال ذلك؛ تؤدى عمليات تعليم الحقائق الجاهزة للاختبار والاستعداد له إلى نوع ضحل من التعلم يثير العديد من المشكلات فى نفس الوقت مما تؤدى فى نهاية الأمر إلى نسيان هذه الحقائق.

ولكن فى حالات متعددة عندما يوضع شىء مهم بالنسبة لنا داخل سياق عاطفى فان استدعاء هذا الشىء يتم بسهولة، وتصبح عملية التعلم واضحة، والتذكر لهذا الشىء يتم بدرجة عالية: مثال ذلك: لا يمكن أن ينسى الفرد منا إهانة ما توجه له من شخص يحبه فى مشاجرة.

وملخص القول أنه يجب على الفرد البحث عن أسباب الأنواع المختلفة من المشكلات حتى يبحث عن المعنى ويدركه. ومن ثم تنمية قدرة صاحب التوحد على تحديد المعنى داخل البعد العاطفى. وبدون المعنى الذى يرتبط بالكيفية التى يشعر بها صاحب التوحد نحو المهمة تظهر مشكلات تعرقل السلوك القصدى (الذى يشمل نموذج الهدف ويشمل توجهات الفرد نحو الغرض). وفى عمليات النمو لدى الأطفال العاديين يلاحظ أن الحالات العاطفية هى التى تسمح للغرض بأن يظهر على أرض الواقع إلا أننا نلاحظ فى حالات التوحد صعوبة القصدية (السلوك الغرضى) أو صعوبة ظهور السلوك المقصود (السلوك الذى يرتبط بالغرض).

لذا فإن عملية التعلم الجديد تصبح صعبة وتمائل العادات. فالعادات تحدث سريعة بدون مشاركة انفعالية وباتجاه قليل جداً للانتباه ومن ملامح العادات أن العادة تمر بطريقة تلقائية وأنا نعي فقط بالعملية التي نقوم بها عند ترتبك.. هكذا فنحن عندما نقود السيارة للمنزل نقودها بدون أى وعى بالعمل الذي نقوم به ولكننا نصل إلى الوعى بسرعة إذا واجهتنا أثناء قيادة السيارة مشكلة ما غير متوقعة أو نتعرض لخطر ما عند ذلك تنتبه فإذا كنا نقود السيارة طوال كل الوقت الخاص بالرحلة بهذا المستوى من الوعى والانتباه بما نفعل من أعمال القيادة - (وذلك كما يفعل الفرد عندما يتعلم قيادة السيارة) - فإن سلوك الفرد الماهر سوف يرتبك وسوف نتعثر أكثر من مرة عندما ندير الدفة، أو نقوم بتغيير سرعات السيارة (ذراع السرعات فى نفس الوقت). وهكذا يمكن القول أن درجة معرفة الغرضية والقصد والتوجه فى المهمة ترتبط مباشرة بكمية الوعى والتحكم الواعى الذى نحتاج إليه. ولكن اجهاد الذات أو اجهاد أى تحكم واعى يعنى أن كل التعلم الجديد سوف يكون صعباً جداً وأن قضية الأداء سوف تكون قضية تعليم عادات. وهذا هو ما يحدث فى التوحد.

تأثير صعوبات الذاكرة على النمو Effects on Development

تؤثر الصعوبات السابقة التى ترتبط بمعالجة الذاكرة والبعد العاطفى تأثيرات شاملة على الفرد - وبالفعل فمن المحتمل أن نمو التعلم سوف يتأثر بكل من معالجة الذاكرة والبعد العاطفى... ولتوضيح هذه التأثيرات سوف نحدد فيما يلى ثلاث صعوبات أو مشكلات شائعة فى أسلوب تعلم الأفراد أصحاب التوحد.

مشكلات فى التفاعل Difficulties in Interacting

تؤدى المشكلة التى تتعلق بتذكر الأحداث التى تعرض بطريقة تقويمية إلى صعوبة فى تأسيس معنى للأحداث الاجتماعية لدى أصحاب التوحد. فطفل التوحد الذى لا يقدر الموقف يصعب عليه توجيه سلوكه نحو نهاية معروفة ولا ترتبط لديه المقاصد بالأفعال التى تثار مباشرة بواسطة مثير معين ويبدو الطفل بدون دافعية، ويعتمد على الآخرين فى أى تعلم جديد.

وسوف تصبح لدى فرد التوحد صعوبة كبيرة في تحديد مقاصد الآخرين لأنه بدون معرفة الأحداث التي ترتبط المعنى الشخصي فإنه يصبح من الصعب معرفة ما الذى يقصده الآخرون بالفعل أو معرفة معنى لسلوكياتهم. فطفل التوحد لا يعي الاحتمالات الاجتماعية الجارية ولكنه يتجنبها.

ويمكن تفسير التجنب الاجتماعى أو نقص الإرادة لدى أصحاب التوحد بنقص الفهم الاجتماعى الذى يرجع إلى صعوبات فى التقدير التقييمى. لذا فإن أطفال التوحد تواجههم داخل قاعة الدرس صعوبة فى فهم مقاصد المعلم وبالتالي لا يفهمون لماذا تحدث الأشياء بكيفية معينة ومن ثم لا يستطيعون التنبؤ بما يحدث فى المستقبل.

ومن المحتمل أن يضل سلوك الطفل المعلم إذا تبع الطفل الخط العادى فى التفسير. إذا بدا على طفل التوحد أن يشاهد المعلم بشكل مقصود فإنه من المحتمل أن طفل التوحد يبحث عن اشارات فى المستوى السلوكى تقول له هل الأفعال التى قام بها أمام المعلم نالت الاستحسان أم عدم الاستحسان. والشئ الذى لا يفعله أطفال التوحد هو المراجعة لمقارنة أفعالهم الأصلية مقابل مقاصد المعلم والتى تعتبر نمطاً من أنماط التتابع غير التوحدى للأحداث لأنه لا يتوفر لديهم إدراك كاف لتلك المقاصد فى المقام الأول.

انتقال أثر التعلم Transfer

تتضمن مشكلات الذاكرة وتأسيس معنى للتقدير الانفعالى المستمر هنا نقص فى عمليات الصياغة الشخصية للأحداث العارضة التى تؤدى إلى صعوبة فى الذاكرة الباحثة عن المعلومات التى يمكن استخدامها فى مواقف الحياة.

وإذا لم تصاغ المعلومات داخل البعد الشخصى فى المقام الأول فإن المعلومات تظل تحتاج إلى علامات ومثيرات لاستدعائها مثلها فى ذلك مثل المواد التى يتم تعلمها بالحفظ.. لذا فإن طفل التوحد قد يتعلم كيف يقيس حافة قطعة من الورق باستخدام المسطرة أثناء درس الرياضيات ويعرف تلك المهارة. ولكنه لا يستطيع أن

يستخدم هذه المهارة فى قياس قطعة من الخشب فى درس التكنولوجيا.. ولكن إذا تم إثارة الطفل لفظياً بالعبارة التالية: تذكر عندما كنت تقيس قطعة من الورق فى درس الرياضيات هذا الصباح، فإن هذا استدعى هذه المهارة بفعالية.. والذى ينقص طفل التوحد هو القدرة على استخدام المعرفة التى توجد فى الذاكرة التلقائية وتحويلها إلى مواقف جديدة ويمكن تحقيق هذه المهارة لتصبح جزءاً من التعلم الفعال من خلال تطبيقها فى مواقف أخرى.

السلوك الشاذ Bizarre Behaviour

ونظراً لأن الفرد صاحب التوحد يفشل فى تطوير معنى كاف عن الذات الخبيرة أو الفاعلة لذا فإن صاحب التوحد يجد صعوبة فى تأسيس الوعى بمقاصد الآخرين وصعوبة فى فهم هذه المقاصد كما يجد أيضاً صعوبة فى تحديد مقاصده الشخصية الأمر الذى يؤدى حتماً إلى عدم قدرة صاحب التوحد على تحديد الملامح المنتظمة للتقاليد الاجتماعية.. وهذه الصعوبة فى تحديد التقاليد الاجتماعية تؤدى إلى نقص واضح فى الفهم. وبالتالي يصعب تعديل سلوكياتهم الخاصة بطريقة تناسب السياق الاجتماعى الذى توضح فيه التحديات الهامة التى تواجه أصحاب التوحد.

كما يتوقع أن يواجه أفراد التوحد صعوبة كبيرة فى ربط سلوكهم الخاص بالنموذج الذى لا يدركونه -وبذلك يتركون لكى يفهموا بمفردهم.

الطبيعة التفاعلية للنمو والتدريس

Transactional Nature of Development And Teaching

تعتبر عملية نمو الإنسان عملية طبيعية لها جذورها الراسخة فى البيئة الثقافية والاجتماعية وتعتبر هذه العملية أيضاً عملية تفاعلية بالدرجة الأولى. حيث يتطور التعلم من خلال سلسلة من التفاعلات بين الأفراد. ولكى تعمل هذه التفاعلات بشكل جيد هناك حاجة لمشاركة كل من طرفى التفاعل فنحن بحاجة إلى استخدام مثال الرقص لكى نفهم هذه العملية فأحد الراقصين يقوم بتحريك جسمه فى ضوء الحركات التى يقوم بها الراقص الآخر حتى يحدث تناسق فى الحركات بالمثل فالتعلم

يجب أن يكون على هيئة نوع من التفاوض في الفهم حيث يتبع المتعلم تعليمات المدرس وقيسها أو يقابلها مع الإشارات الدالة على وعيهم المتنامي وفهمهم. المعرفة لا تنتقل ببساطة حيث إنها تمر بأحد المستويات وهو التفاوض. وهذا يعني أن المعرفة يتم إعادة تشكيلها وإعادة لصاغيتها وإعادة لتوظيفها بواسطة المعلم حتى تصبح ذات معنى بالنسبة للمتعلم.

ولكى يحدث التعلم الفعال فإننا نحتاج إلى الاتصال بالمعنى الحقيقي للكلمة - وهكذا يتضح لنا أن أصحاب التوحد تواجههم مشكلات في الاتصال. حيث تصادفهم مشكلة تفسير توجيهات المعلم وقراءتها كما أن التدريس يعتمد (كما هو الحال في التفاعل الاجتماعي) على تخمينات التلميذ لما في عقل المعلم أكثر من اتباع تعليمات المعلم بطريقة حرفية. وأحد الأسباب التي تفسر لنا لماذا نتعلم من الآخرين ومعهم بشكل أفضل من التعلم من التعليمات المفصلة المكتوبة هو أننا قادرون على عمل فقرات من الفهم تعتمد على فهمنا للآخرين أكثر من اعتمادنا على المعلومات الجاهزة. بالطبع نحن نحصل فقط على عوامل تثير الأطفال من ملاحظات الآخرين ولكننا أيضا نحصل على معنى الحماس المشترك والمشاركة التي تثير دافعيتنا للتعلم. كل هذا لا وجود له في عالم طفل التوحد الذي يجد كل الاشارات الاجتماعية المصاحبة مشتتة لانتباهه أكثر من كونها مساعدة له.

والعديد من الأفراد أصحاب التوحد يجدون أن التعلم يكون أسهل من خلال برنامج الكمبيوتر.. وفي الحقيقة يمكن القول أن الكمبيوتر يربك ويحطم البعد الاجتماعي، ويقدم المعلومات بشكل منطقي وتتابعي ولا يحتاج إلى أبة فقرات وجدانية.

الاستنتاج Conclusion

واحد من الموضوعات الأساسية في هذا الكتاب هو الاقتراح الدال على أنه يمكن تنمية وعي الطفل صاحب التوحد بدوره الخاص كفرد يستطيع حل المشكلات من خلال تنمية الذاكرة الشخصية الخاصة بالسيرة الذاتية ومن خلال أهداف المنهج

الواضحة الشاملة. نحن لا ندعى بأن هذا المدخل سوف يعالج كل أوجه القصور الموجودة لدى أصحاب التوحد، ولكنه يمكن طفل التوحد من إحراز بعض النجاح في تعلمه. يحتاج أطفال التوحد إلى تعلم مهارات الحياة، ويحتاجون إلى تعلم هذه المهارات في طرق تسمح لهم بادراك مشكلاتهم في التعلم وطرقهم المختلفة في التفكير. وعندما يتعذر علينا أن نعلم أطفال التوحد أن يتعلموا بالطريقة التي يتعلم بها الآخرون فإننا نحتاج إلى تطوير مداخل تدريس غير نمطية كما نحتاج إلى تعليمهم بعض المهارات التعويضية للمواد التي يصعب عليهم الوصول فيها لدرجة الاتقان. وإذا قام أطفال التوحد بتطوير طرق في التعلم لا ترتبط بالتعلم السردى للمهارات فإنهم يحتاجون إلى العمل في عمليات تتضمن الذات الخبيرة أو الفاعلة في التقدير الانفعالي فالتلاميذ يحتاجون إلى تعلم من الخبرة الذاتية. ولكي نحقق هذا يجب أن نربط المشكلة المستخدمة بالمعاني الشخصية كما يجب حل المشكلة وشرحها لمساعدة المتعلم على تأسيس وجهة نظر المتعلم الذاتية عن نفسه أكثر من تأسيس لوجهة نظره عن المشكلة. والتحدى الذي يواجه معلم أطفال التوحد هو أن يجعل مهام التعلم ذات معنى لطفل التوحد وأن يساعده على تقدير المعنى الذي يرتبط به.